البداية إلى أدب «الالتزام» الذي ينبع من المجتمع العربي ويصبّ فيه:

والمجلّة إذ تدعو لهذا الأدب الفعّال تحمل رسالة قوميّة مثلى. فتلك الفئة الواعية من الأدباء الذين يستوحون أدبَهم من مجتمعهم يستطيعون على الأيّام أن يخلقوا جيلاً واعياً من القرّاء يتحسّسون بدورهم واقع مجتمعهم، ويكونون نواة الوطنيين الصالحين. وهكذا تشارك المجلّة، بواسطة كتّابها وقرّائها، في العمل القومي العظيم، الذي هو الواجب الأكبر على كلّ وطنيّ[٣].

وتربط الافتتاحيّة هنا هذا «الالتزام» الأدبي الذي دعت إليه، بالبعد القومي وبالدور الفكري للمجلّة، بشقّيها الفاعلين: الكتّاب والقرّاء، في بلورة هموم الواقع والتعبير عن آماله ورؤاه، وفي صياغة أشكال العمل القومي الأكبر الذي تعدّه الواجبَ الأوّل على كلّ وطني. وهذا الرّبط الواضح بين البعدين الوطني والقومي، وكأنّهما وجها عملة واحدة في مصطلح المجلّة الفكري، هو الذي أكسب دعوة **الآداب**، على مرّ سنوات عمرها، تلك الأهمّيّة التي أثارت الجدل بين الكتّاب، وربطت الأدبَ بالتحوّلات الفكريّة والسياسيّة التي شهدتها السّاحةُ العربيّةُ منذ البداية. وهو الذي جعلها أداة فعّالةً في صراع الواقع العربي من أجل بلورة مشروعه ومن أجل الدّفاع عن رؤاه الوطنيّة والقوميّة. وقد كانت المجلّة واعية من البداية بضرورة أن يكون لهذا العمل القومي العربي بعده الإنساني. ومن هنا أكّدت في افتتاحيّتها تلك:

على أنَّ مفهوم هذا الأدب القومي سيكون من السّعة والشّمول حتّى ليتّصل اتّصالاً مباشراً بالأدب الإنساني العام، مادام يعمل على ردّ الاعتبار الإنساني لكلّ وطني، وعلى الدعوة إلى توفير العدالة الاجتماعيّة له، وتحريره من العبوديّة المادّيّة والفكريّة، وهذه غاية الإنسانيّة البعيدة. وهكذا تسهم المجلّة في خلق الأدب الإنساني الذي يتّسع ويتناول القضيّة الحضاريّة كاملة. وهذا الأدب الإنساني هو المرحلة الأخيرة التي تنشدها الآداب العالميّة في تطوّرها[٤].

فالبعدان الوطني والقومي في رسالة **الآداب** هما التعبير

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) المرجع السّابق، ص ١ و ٢.

شهادة مستعربة

مونيكا روكو

اسمحوا لي أيّها السادة ـ أنتم أهل الضّاد ـ أن أعتذر عن لفظي الركيك، لكنّي سأحاول أنْ أُوصل لكم ما أُريد قوله من غير لعثمة وتشويش.

اقترَحَني الدكتور سهيل ادريس لأُلقي كلمةً أُعبّر فيها عن رأيي كمستشرقة حول مجلّة **الآداب**. ولقد شرّفني هذا الاقتراح، غير أنّي أودُّ إجراء تعديل طفيف لكنّه هامٌّ جدّاً بالنسبة لي... وذلك بخصوص مضمون الدعوة، فأقول رأيي كمستعربة لا كمستشرقة!

لقد أَعددتُ في جامعة ناپولي للّغات الشرقيّة (I.V.O.) وبإشراف الأستاذة Isabella Camera رسالة دكتوراه عن «دور المثقّف العربيّ المعاصر من خلال مجلّة **الآداب** من الخمسينات حتّى الثمانينات». فما الّذي دفعني لاختيار مجلّة **الآداب** موضوعاً لدراستي؟

قبلَ كلِّ شيء كانت تهمّني قضيّة تأسيس وتطوّر الأدب والفكر العربي الحديث بدءاً من مرحلة ما بعد الاستقلال. في هذه الفترة ـ أعني في الخمسينات ـ جرى نقاش بين المثقّفين العرب حول نشأة ثقافةٍ عربيّةٍ حديثة وحول أدبٍ مُحْدَث جديدٍ في الشّكل والمضمون.

واختار المثقّف الحديث المقالة الصحفيّة وسيلة للتّعبير. وهكذا أصبحت المجلّات الأدبية والثقافية مجالَ تقاطع تيّارات فكريّة وأدبيّة مختلفة. ولعبت مجلّة **الآداب** ـ ولاتزال ـ دوراً هامّاً جدّاً في التوعية اللازمة وفي خلق أسلوب جديد في الصحافة الأدبيّة وفي إظهار الدور الاجتماعي الذي يمكن أن يلعبه الأدب.

لهذه الأسباب اخترتُ مجلّةَ **الآداب**... إضافة لسببٍ هامٍّ جدّاً من الناحية المنهجيّة، وهو أنَّ إصدارات هذه المجلّة تواصلت وبدون توقّفٍ منذ عام ١٩٥٣... وهو ما يجعل منها موسوعةً للأدب والثقافة العربيّة المُعاصِرَيْن.

لقد درستُ إنتاجَ **الآداب** من ١٩٥٣ إلى ١٩٨٦ واستعملتُ منهج البحث التالي:

١ ـ قمتُ بتحليلٍ كمّي عبر فهرسة كلِّ المقالات بالحاسوب مع عناوينها وترجمتها الإيطاليّة، ثمّ وضعتُ دليلاً للمؤلّفين وآخر للموضوعات. وهذه الأدلّة ستكون مفيدة لكلِّ من يريد أن يرجع إلى موضوعٍ معيَّن أو لكتاباتٍ معيَّنة ظهرتْ في المجلّة خلال تاريخها الطويل.

المحلّي لديها عن رسالة الأدب الإنسانيّة الأوسع. وهما وثيقا الصّلة في هذا المجال بقضيّة العدالة الاجتماعيّة، وردّ الاعتبار الإنساني لكلّ مواطن في عالم كان العربي فيه يشعر بالمهانة في وطنه الذي كانت السيادةُ فيه وقتَها للأجنبي المحتلّ. وكان همّ **الآداب** من البداية أن تساهم في خلق الأدب الذي يكرّس هذه القيم الإنسانيّة ويردّ الاعتبار للمواطن ويشعره بالكرامة في وطنه، وبالاعتزاز به والسيادة به وفيه. فأين نحن الآن من هذه القيم التي استهدفت **الآدابُ** تكريسَها في الواقع العربي؟ لقد تحقّقت هذه القيم في بعض اللّحظات وفي بعض الأقطار، وتحقّقت معها **الآداب** وازدهرت؛ ثمّ أُطيح بها، وعانت **الآداب** من آثار هذه الإطاحة وترنّحت معها. فقد كانت **الآداب** جزءاً من مرحلة ومن مشروع ومن حلم عربي عزيز، لايزال بعد أربعين عاماً في منطقة الأحلام العصيّة بعد أن شارف على التحقُّق في لحظات قليلة من تاريخنا العربي القريب. وقد كان دور الأدب في هذا الحلم العربي القومي المشروع هو أكثر القضايا التي استأثرتْ بالجدل والنقاش في العام الأوّل من عمر **الآداب**. فقد كتب النّاقد الرّاحل أنور المعداوي، وهو الذي كان ألمع نقّاد المرحلة السّابقة على صدور **الآداب** وأحد نجوم مجلّة **الرّسالة** السّابقة عليها، في العدد الثاني من **الآداب** مقالاً ضافياً بعنوان «الأدب الملتزم» يناقش فيه هذه القضيّة. ويركّز على نقاط الاختلاف بين أدب «الالتزام» الحرّ الذي تدعو له **الآداب**، والأدب الاشتراكي الذي يدعو إليه الشيوعيّون:

الأدب لكي يكون ملتزماً في رأي سارتر لابدّ له أن يتنفّس هواء الحرّيّة بملء رئتيه. لابدّ من حرّيّة الكاتب فيما يكتب، ولابدّ من حرّيّة القارئ فيما يقرأ ليتحقّق ذلك الهدف المثالي لمبدأ الالتزام. أمّا حرّيّة الكاتب فلن تتوفّر له إلاّ إذا تخلّص من الخضوع لتيّارات حزبيّة معيّنة تملي عليه ما يتّفق ووجهة نظرها من آراء وأفكار. وأمّا حرّيّة القارئ فتتمثّل في عدم إرغامه على قبول لون بعينه من الإنتاج الأدبي الذي يتّجه إلى غاية محدودة وهدف مرسوم[٥].

هذا الإلحاح على مبدأ الحرّيّة: حرّيّة الكاتب وحرّيّة القارئ كان واحداً من المبادئ المهمّة التي أرستها **الآداب** من خلال

(٥) أنور المعدّاوي: «الأدب الملتزم»، **الآداب**، العدد الثاني، فبراير (شباط) ١٩٥٣، ص ١٢.

---

٢ ـ قمتُ بتحليلٍ نوعيٍّ للمقالات الأدبيّة والثقافيّة والسياسيّة واللّغويّة والفنّيّة والسوسيولوجيّة المنشورة في المجلّة، وحاولتُ أن أضع المُقاربات المختلفة (الأدبيّة، السياسيّة، إلخ...) في إطار تاريخي. هذه الطريقة سمحتْ لي أنْ أُصنّف نتاج **الآداب** في ثلاث مراحل:

الأولى من ١٩٥٣ إلى ١٩٦٢

الثانية من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٤

الثالثة من ١٩٧٥ إلى ١٩٨٦.

لم أُرِدْ أن أسجنَ التيّارات الأدبيّة والفكريّة في حدودٍ ثابتة؛ لكنّي آمنتُ أنّ من المفيد أن أسوقَ بعضَ المعالم التاريخيّة. وتبيّن لي عبر دراسة **الآداب** أنّه ليس من المبالغة في شيء القول إنّ قصّة هذه المجلّة اللبنانيّة هي قصّة الثقافة العربيّة المعاصرة.

وبفضل مبادرة مديرها الدكتور سهيل ادريس أصبحت المجلّة منبراً لمناقشات عديدة ومهمّة اشترك فيها أيضاً بعض الباحثين الإيطاليّين مثل Alessandro Bausani و Umberto Rizzitano.

لقد حقّقتْ مجلّة **الآداب** في نصف القرن المنصرم أهدافاً عديدة أهمّها:

* الحفاظ على التراث الفكري العربي الذي كان يُهدِّده غيابُ ثقة بعض الكتّاب فيه.

* رِعايةُ حداثةٍ أدبيّةٍ استطاعتْ مع السنين إيجاد وسائل المعادلة المناسبة لبقائها.

* تحويل الأدب إلى سلاح فعّال في الصراع من أجل التقدُّم والتنمية.

* العمل لإعطاء المشهد الثقافي العربي طابعاً مختلفاً عن الطابع التقليديّ الذي كان يعيش في أَسْره.

لقد ناضلت المجلّة ضدَّ التخاذل الثقافي، دافعةً الأدباء لمقاومة الظروف الصعبة التي يعيشون فيها في بلادهم وفي زمانهم، ومُشجِّعةً إيّاهم على الصُّمود في وطنهم وعلى مقاومة إغراءات التغرُّب الذي لا يكون فقط بهجرة الأدمغة وإنّما أيضاً بهجرة النُّفوس.

ولئنْ شكّلت الكتب المنشورة في دار الآداب الوسيلة الأمثل لوقف هذه الهجرة، فإنّ هذه المجلّة اللبنانيّة تبقى الوسيلة الأكثر تأقلُماً لذلك في الظّروف الرّاهنة. لقد مثّلت مجلّة **الآداب** وبحقّ، منبراً متميِّزاً للديمقراطيّة وحريّة الرأي والفكر في العالم العربي. ونتمنّى أن تستمرَّ وتعيش لوقتٍ طويل أيضاً مُدافعةً عن هذه الأهداف السامية التي لا يمكن لفكرٍ أن يُضيء ولا لأدبٍ أن يعيش إلاّ في ظلّها.

مرّة ثانيةً أشكركم لتحمُّلِكم لهذه الخطبة المقتضَبة وأتمنّى لمجلّة **الآداب** عمراً مديداً وحياة غنيّة بكلّ ما يعود بالخير على الثقافة العربيّة.

روما